الباب الأول

مدخل عام

الصين وهي الدولة الأكثر سكانًا في العالم مع أكثر من 1.338 مليار نسمة تقع في شرق آسيا ويحكمها الحزب الشيوعي الصيني في ظل نظام الحزب الواحد تتألف الصين من أكثر من 22 مقاطعة وخمس مناطق ذاتية الحكم وأربع بلديات تدار مباشرة بكين وتيانجين وشانغهاي وتشونجتشينج واثنتان من مناطق عالية الحكم الذاتي هما هونج كونج وماكاو .

والصين تقع في الجزء الشرقي من قارة آسيا، وعلى الساحل الغربي من المحيط الأطلنطي، وتشترك الصين في حدودها مع عدة دول هي: أفغانستان، بوتان، ميانمار (بورما)، مازخستان، فرعيزستان، لاوس

منغوليا، النبيال، وكوريا الشمالية، وباكستان، وروسيا، وطاجاكستان، وفيتنام.

وتمتد البلاد على مساحة 9.6 مليون كيلومتر مربع والحضارة الصينية القديمة إحدى أقدم الحضارات في العالم، حيث ازدهرت في حوض النهر الأصفر الخصب الذي يتدفق عبر سهل شمال الصين وخلال أكثر من6,000 عام قام النظام السياسي في الصين على الأنظمة الملكية الوراثية المعروفة أيضاً باسم السلالات وكان أول هذه السلالات شيا حوالي 2000 ق.م لكن أسرة تشين اللاحقة كانت أول من وحد البلاد عام 221 ق.م انتهت آخر السلالات سلالة تشينج في عام 1911 مع تأسيس جمهورية الصين من قبل الكومينتانج والحزب القومي الصيني حيث شهد النصف الأول من القرن العشرين سقوط البلاد في فترة من التفكك والحروب الأهلية التي قسمت البلاد إلى معسكرين سياسيين رئيسيين هما الكومينتانج والشيوعيون وانتهت أعمال العنف الكبرى عام 1949 عندما حسم الشيوعيون الحرب الأهلية وأسسوا جمهورية الصين الشعبية في بر الصين الرئيسي ونقل حزب الكومينتانج عاصمة جمهوريته إلى تايبيه في تايوان حيث تقتصر سيادته حالياً على تايوان وكنمن ماتسو وجزر عدة نائية ومنذ ذلك الحين، دخلت جمهورية الصين

الشعبية في نزاعات سياسية مع جمهورية الصين حول قضايا السيادة والوضع السياسي لتايوان.

أعراق وقوميات الصين

تحتوي الصين علي ست وخمسين قومية أو عرقية، منهم الهان، الويجور، الداي، والإي وتشكل قومية الهان الأغلبية العظمي في الصين، حيث يتكون منها ما يقرب من 91 % من سكان الصين وبالتالي تعتبر باقي القوميات أقلية، وهذا هو الاسم الذي يطلق عليها بالفعل أو القوميات الأخوية بالرغم من أن قوميات الأقلية نسبتها قليلة جداً، إلا أن مناطق توزيعها الجغرافي واسعة جدا، فهم ينتشرون في ما يقرب من ستين فى المئة من المساحة الكلية للصين، خصوصاً في مناطق سيتشوان، التبت، وغيرها من المناطق وتعرضت قوميات الاقلية قبل التحرير لاضطهاد الطبقات الحاكمة التي كانت من قومية الهان، فتدهورت لذلك حياتهم الثقافية والعلمية والسياسية، ولكن بعد التحرير، حصلت القوميات كلها علي المساواة الكاملة، فانتعشت بذلك حياتهم الثقافية والسياسية والاقتصادية والعلمية، وأعطت الحكومة حكم ذاتي لبعض مناطق الأقليات مثل إقليم التبت .

وخلال مسيرة التقدم التاريخي ظهرت حالة التعايش السلمي بين أبناء قومية هان وأبناء الاقليات القومية الأخرى في كثير من المناطق الصينية إضافة إلى التعايش المشترك بين أبناء مختلف الأقليات القومية في بعض المناطق الصينية وباستثناء قوميتي هوي المسلمة ومنشوريا اللتين يستخدم أبناؤهما لغة هان يستخدم أبناء سائر الاقليات القومية الثلاث والخمسين لغاتهم القومية الخاصة أو لغة هان أيضاً في حياتهم وخلال سنوات طويلة يتعايش أبناء مختلف القوميات الصينية في سلم ووئام على أراضي الصين البالغة مساحتها تسعة ملايين وستمائة ألف كيلومتر مربع ويعملون بجد وإجتهاد لبناء وطنهم العظيم ذي التاريخ العريق والحضارة الباهرة

دخول الإسلام إلى الصين

وصل الإسلام إلى الصين في القرن السابع الميلادي تقريباً بعدة طرق منها:

الحربية: فكان من خلال فتح تركستان الشرقية على يد قتيبة بن مسلم الباهلي، حيث إنّ الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما قاما بإرسال الكثير من البعثات لدعوة الناس في تركستان الغربية، فدخل في الإسلام كثير من سكانها.

ثم انتقلت الدعوة إلى تركستان الشرقية، ولكن كان النصر الأكبر في نشر الدين الإسلامي عند فتح تركستان الشرقية في آخر خلافة الوليد بن عبد الملك الأموي، حيث أصبحت جميعها مسلمة، ثم انتقلت البعثات المختلفة من هذا الإقليم إلى الصين لدعوتهم إلى الإسلام، وفي نفس الوقت استمر إرسال البعثات الإسلاميّة في عهد الخلافة العباسيّة مما أدى إلى دخول السكان إلى الإسلام أفواجاً.

التجارية: كان للتجارة دور كبير في نشر الإسلام في الصين، حيث أنهم كانوا يُعتبرون سفراء الدولة الإسلامية في المناطق التي يصلون إليها، فكانوا يعملون بالتجارة ويدعون إلى عبادة الله تعالى وحده ويرغبوا الناس فى الإسلام من خلال شرح عاداته وآدابه، ومنهم من استقر في الصين وتزوج من الصينيات، وبنوا الكثير من المساجد والمدارس لتسهيل حياتهم، ممّا زاد من انتشار الإسلام بين الناس وبقيت بعض المساجد التي بناها التجار موجودة مثل مسجد ذكري النبي عليه الصلاة والسلام في كانتون، ومسجد الطاهر في تشوان تشو الذي يوجد فيه حجرٌ مكتوبٌ عليه اسم التاجر المسلم العربي - عجيب مظهر الدين - الذي بناه.

كان الجميع يعيشون في الصين في تلك المرحلة بكلّ حبٍ وتعاونٍ، فلا إكراه في الدين الإسلامي، لذلك كان المسلمون يتعاملون مع البوذيين

والوثنيين بالإحسان، مع احتفاظهم بالهوية الإسلامية، وعاش الجميع في استقرارٍ، لكن بدأت المشاكل واضطهاد المسلمين عندما تولى جنكيز خان الحكم فبدأ بالقتل والذبح والتهجير خاصة أن الدولة الإسلامية كانت تعاني في تلك الفترات من ضعف شديد.

عوامل انتشار الإسلام في الصين

دخل الإسلام إلى شمال الصين بواسطة الترك في عهد جنكيزخان وخلفائه؛ حيث لم يعبأ جنكيزخان بالدين، وكان يجمع حوله جميع المِلَل، ودخل في جنده كثير من الترك، والأفغان، والباتان، والفرس، وكل هؤلاء مسلمون، فنشروا الإسلام في الصين[1] وهناك مجموعة من العوامل ساعدت على سهولة وسرعة انتشار الإسلام في الصين، من هذه العوامل: المعاملات التجارية التي قام بها المسلمون، وكذلك الفتوحات الإسلامية للمناطق المحيطة بالصين، وتناسل المسلمين وكثرتهم.

والاختلاط بينهم وبين أهالي البلاد الأصليين، ومن هذه العوامل أيضاً شراء المسلمين لأولاد الصينيين الوثنيين وتربيتهم على الإسلام، فيصيرون متمسِّكين بالدين الإسلامي، وكذلك لجوء مسلمي الصين إلى

1- تاريخ آسيا الحديث والمعاصر- رأفت غنيمي وآخرون: ص 13، 14.

الزواج بالصينيات؛ رغبة أن يشرح الله صدورهن للإسلام[1] وقد تمتَّع الإسلام في الصين بقبول حَسَن، ولقي المسلمون معاملة طيبة طوَال عصر أسرة تانج، التي انتهت سنة (349هـ = 690م)، ولما خلفتها أسرة سونج ازدادت التجارة، وتزايد توافد المسلمين على الصين، وأصبحت كلُّ تجارة الصين مع بقية بلاد الشرق وأوروبا في أيدي المسلمين؛ فعرفت أوروبا حرير الصين، وخزفها، وتحفها، وصناعاتها الدقيقة عن طريقهم، وحملوا إليها متاجر أوروبا وغرب أسيا، وكبرت جاليات المسلمين في بلاد الصين، وانتشر الإسلام أكثر وأكثر، ونظرًا لما امتاز به المسلمون من خُلُق طيِّب وأمانة والتزام بالقوانين فقد احترمهم الشعب الصيني، وزاد انتشار الإسلام تَبَعًا لذلك[2].

السيد الأجل ناشر الإسلام

كان أكبر الموظَّفين المسلمين في بلاد الصين رجلاً ذا كفاية عظيمة وقدرات متعددة، وهو السيد الأجل، وقد تدرَّج في المناصب حتى أصبح القائد الأعلى للقوات العسكرية المنغولية في ششوان، ثم أصبح حاكماً لتلك الولاية في سنة 671هـ= 1372م، وبعد سنتين تولَّى حكومة ولاية

1- انظر المصدر السابق، ص 14، 15. 2- الاسلام الفاتح- حسين مؤنس ص 70.

يونان، وبفضل كفايته انتشرت الثقافة الإسلامية في بلاد الشمال الغربي، وكان السيد الأجل يحكم بعدلٍ وإنصاف تامَّيْن، ولا يُفَرِّق بين مسلم وغير مسلم، ويقول المؤرِّخ رشيد الدين فضل الله في كتابه جامع التواريخ في عصر الأسرة المغولية كانت الصين مقسَّمة إلى اثنتي عشرة ولاية، لكل منها حاكم، ثمانية من بين الحكام كانوا مسلمين، وهذا يدلُّ على القوَّة التي وصل إليها المسلمون في عصر أسرة يوان، وقد دامت أسرة يوان حوالي 90 سنة تقريبًا (770 - 1054هـ = 1368 – 1644م)، وفي عهد هذه الأسرة ازداد الإسلام، حتى أصبح من أديان الصين الكبرى.

القوميات الإسلامية

من المعروف أن هناك أكثر من عشر قوميات صينية تعتنق الإسلام، وهي هوي والأويجور والقازاق ودونجشيانج والقرغيز وسالار والطاجيك والأوزبك وباوآن والتتار .

بعد دخول الإسلام الصين في عهد أسرة تانج الملكية 618- 907م، أخذ ينتشر تدريجياً في أنحاء البلاد خلال الفترات التاريخية التالية، من أسرة سونج 960-1279م، وأسرة يوان 1206- 1368م حتى أوائل أسرة مينج 1368- 1644م وخلال هذا التاريخ الطويل تعرض المسلمون لتقلبات سياسية واجتماعية واقتصادية، فحاولوا بشتى السبل الحفاظ

على دينهم الحنيف وتطويره، ولكن في ظل الظروف الصينية الخاصة التي تتسم برسوخ الفلسفة الكونفوشية في عقول معظم سكانها منذ قديم الزمان، أضطروا إلى التمركز في بعض المناطق المتفرقة، وأصبحوا أخيراً أقليات قومية، تشكل مجموعتين، إحداهما تتكون من ست قوميات تتناثر في منطقة شينجيانج في غربي الصين، والأخرى تتكون من أربع قوميات تعيش في مختلف الأماكن في داخل البلاد .

إن كلمة ويجور تعني التضامن أو الاتحاد باللغة الويجورية، ويرجع تاريخ قومية الأويجور إلى القرن الثالث قبل الميلاد وتتوزع قومية الويجور بشكل رئيسي في منطقة شينجيانج الويجورية الذاتية الحكم ، ويبلغ عدد أبنائها 72 مليون نسمة حاليا في أواسط القرن العاشر، ومع اعتناق شاتوك بوراخان ملك مملكة قراخان المحلية الإسلام، بدأ دخول الإسلام إلى شينجيانج، وكانت كاشغر أول محطة له، ثم انتشر إلى يارتشيانج وكوتشار، وبعد القرن الرابع عشر أخذ الإسلام ينتشر في شمالي شينجيانج، وحتى القرن السادس عشر تم تعميم الإسلام في شينجيانج كلها ولا تزال بعض الآثار الإسلامية موجودة في شينجيانج، مثل مسجد عيد كاه، وضريح ملك مملكة هامي من قومية هوي، وبرج سوقونج ويتسم المسلمون من قومية الويجور بالحماسة والحفاوة بضيوفهم، وهم موهوبون في العديد من المجالات وحتى اليوم ويمارس

أبناء قومية الويجور الزراعة بشكل رئيسي، ولهم خبرة كبيرة في زراعة القطن وأعمال البساتين إضافة إلى تفوقهم في نسج السجاد والحرير وصنع القبعات المطرزة والسكاكين.

يتوزع أبناء قومية القازاق في ييلي وتاتشنغ وآلتاي في منطقة شينجيانج الويجورية الذاتية الحكم رئيسيا ويبلغ عددهم حوالي12 مليون نسمة وتعتبر قومية القازاق تجميعاً من أقليات قوميات عديدة عاشت في شمالي الصين في الزمان القديم، وفي أواسط القرن الخامس عشر تشكلت قومية القازاق بعد تأسيس مملكة قازاق خان وقد وصل الإسلام إلى مروج قومية القازاق مبكراً، وانتشر فيها على نطاق واسع بعد القرن الثامن عشر، وسجلت الشريعة الإسلامية في قانون توكه الأساسى عند القازاق وفي تاريخ قومية القازاق ظهر كثير من العلماء والأئمة كانوا بارعين في اللغة العربية والعلوم الإسلامية .

إن القرغيز قومية قديمة بمنطقة شينجيانج وفي عهد أسرة تشينج الملكية شارك أبناؤها مع القوميات المحلية الأخرى، في المعارك التي كان يقودها الجيش الحكومي لإخماد محاولات الإنقسام والإنفصال من بعض الممالك الصغيرة في شينجيانج، فقدموا مساهمة كبيرة لتوحيد الصين ويقطن أبناء قومية قرغيز رئيسيا في ولاية كهسي لهسو الذاتية

الحكم لقومية قرغيز، ويبلغ عددهم حوالي 140 ألف نسمة، ويشتغل معظمهم بتربية المواشي إلى جانب الزراعة .

يقطن أبناء قومية الأوزبك في أورومتشي، كاشغر، ييننج، تاتشنج في منطقة شينجيانج وكانت قومية بدوية استوطنت الصين في القرن الخامس عشر تقريباً، واعتنقت الإسلام واللغة الأوزبكية لغة شبيهة بالعربية من حيث النطق والكتابة، الأمر الذي سهل على أبناء الأوزبك قبول الإسلام وقد أنشأ الأوزبكيون مساجد كبيرة في مناطق كاشغر وييلي ويارقند وتشتاي يبلغ عدد أبناء الأوزبك حوالي 15 ألف نسمة.

يبلغ عدد أبناء قومية الطاجيك حوالي 33 ألف نسمة، ويقطنون داخل محافظة تاشيكوركان الذاتية الحكم لقومية الطاجيك الواقعة فى هضبة البامير، ويسكن قليل منهم في يارقند ويهتشنج وتسهبو وآكتاو وفي القرن الحادي عشر اعتنق أسلافهم مذهب الطائفة الإسماعيلية الشيعي، وحتى اليوم يحافظون على هذا المذهب .

إن التتار أحفاد قبائل بدوية تركية كانت تحكمها مملكة ترجو خان في شمال الصين في عهد أسرة تانج وفي الفترة ما بين عشرينيات وثلاثينيات القرن التاسع عشر هاجرت قومية التتار من الحدود المشتركة للصين وروسيا إلى منطقة شينجيانج، وكان أغلبهم من التجار

ورجال الدين، فأقاموا التعليم الإسلامي في ييننج وتاتشنج وغيرهما ويبلغ عدد أبناء قومية التتار حوالي 5000- 6000 نسمة، ويمارس أبناء القومية في المدن الأعمال التجارية أو الأعمال الثقافية والطبية، أما في المناطق الرعوية فيشتغلون بتربية المواشي، ولهم رغبة خاصة في تربية النحل والمستوى الثقافي لأبناء قومية التتار عال، فهم في مقدمة الأقليات القومية في الصين من حيث نسبة عدد المتعلمين بين سكانها .

أسلاف قومية هوي من المسلمين العرب والفرس الذين جاؤوا إلى الصين في مهام دبلوماسية أو للتجارة والسياحة في عهد أسرتي تانج وسونج عام 618م –عام 1127م وحملوا معهم الإسلام إلى الصين وفي القرن الثالث عشر أتى بعض المسلمين من آسيا الوسطى مع جيش منغوليا إلى الصين واستوطنوا في أنحاء الصين وأطلق عليهم أبناء هوي هوي حينذاك وبدأت قومية هوي تستخدم اللغة الصينية لغة هان بعد أسرة مينج عام 1368-عام 1644، ولكن أئمة المساجد ما زالوا يستخدمون اللغة العربية في الشئون الدينية حتى اليوم ولا فرق كبير بين قومية هوي وقومية هان في الملبس .

إن هوي قومية كبيرة بين الأقليات القومية، وواسعة الانتشار ويبلغ عدد أبنائها أكثر من 86 مليون نسمة، وينتشرون في أنحاء الصين،

خاصة في مناطق شمال غربي الصين التي تشمل منطقة نينجشيا الذاتية الحكم لقومية هوي ومقاطعة تشينغهاي ومقاطعة قانسو ومنطقة شينجيانج الويجورية الذاتية الحكم ومقاطعة شنشي، وفي مقاطعة يوننان الواقعة في جنوب غربي الصين، وأيضاً ينتشر أبناء قومية هوي بصورة كبيرة في مقاطعات خبي، خنان، شاندونج، ومنطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم ويوجد في الصين منطقة خاصة لقومية هوي هي منطقة نينجشيا الذاتية الحكم لقومية هوي، وولايتان ذاتيتا الحكم لقومية هوي، و11 محافظة ذاتية الحكم لهذه القومية.

تستوطن قومية سالار محافظة شيونهوا الذاتية الحكم لقومية سالار بمقاطعة تشينغهاي، ويبلغ عدد أبنائها حوالي 90 ألف نسمة، ولها لغتها الخاصة ـ لغة سالار، ولكنها ليست مكتوبة، لذلك تستخدم لغة هان في الكتابة .

تقطن قومية دونج شيانج منطقة دونج شيانج التابعة لولاية لينشيا بمقاطعة قانسو جيلا بعد جيل، ويبلغ عدد أبنائها حوالي 370 ألف نسمة تشمل قومية دونجشيانج عناصر من قوميات هوي وهان ومنغوليا وطوائف مسلمي قومية دونجشيانج متعددة، ولكل طائفة مسجد خاص، وتتأثر عادات أبناء قومية دونجشيانج بمذاهب هذه الطوائف ولا يزال

القرآن الكريم، المخطوط الذي أتي به أسلافهم من آسيا الوسطى، محفوظاً بينهم .

تسمى قومية باوآن أيضا باوآنهوي، ولها لغة خاصة منطوقة فقط هي لغة باوآن ويقطن أبناء قومية باوآن منطقة جبل جيشي بلينشيا في مقاطعة قانسو، ويبلغ عددهم حوالي 150 ألف نسمة وكان أسلاف أبناء قومية باوآن من أبناء هوي هوي القادمين من منغوليا وآسيا الوسطى

المسلمون والأسر الحاكمة

في عصر حكم أسرتي تانج وسونج : أطلق الصنيون اسم التاشي على البعثات الإسلامية، وأضيف إليها اسم أصحاب الملابس البيضاء أثناء الحكم الأموي، وأطلق اسم أصحاب الملابس السوداء أثناء الحكم العباسي، واستقرت بعض الجماعات المسلمة من التجار ورجال الدين على ساحل الصين الجنوبي في منطقة خوان فو (قوانج دونج) حالياً ووصل المسلمون إلى عاصمة شيان وأخذوا ينتشرون في مناطق عديدة وهكذا ظهرت مناطق إسلامية في عهد أسرتي تانج وسونج ومن أشهر الآثار الإسلامية مسجد ذكري النبي عليه الصلاة والسلام في كانتون ومسجد الطاهر في تشوان تشو، وكان للمسلمين مساجدهم ومدارسهم وأنشطتهم التجارية والاقتصادية الأخرى.

المسلمون في عصرأسرة يوان

المغول: 676 هـ -1286 م، 769 هـ -1377 م، نهض المسلمون في عصر المغول نهضة سريعة، وزاد نفودهم وشغلوا مناصب عديدة في الدولة وتقلد شمس الدين عمر عدة مناصب منها حاكم ولاية يونان في سنة 673 هـ - 1274 م وعمل أثناء حكمة على تثبيث أقدام المسلمين فى هذه الولاية، وكذلك عمل أولاده، الذين تولوا مناصب مهمة بالدولة، وبلغ عدد الحكام المسلمين 30، وتولي المسلمون حكم 8 ولايات، وكانت الصين مقسمة إلى 12 ولاية.

المسلمون في عهد أسرة مينج

اندمج المسلمون في المجتمع الصيني منذ عهد المغول، ولكنهم حافظوا على تقاليدهم الإسلامية، واكتسب الإسلام أتباعاً جدداً بالمصاهرة بين الأسر من أصل عربي أو إيراني وبين الأسر الصينية، وقد حافظ العرب على نسبهم وتميزوا عن غيرهم باسم ما وهو يعني الخيل أو الحصان باللغة الصينية وذلك لشهرتهم بركوب الخيل وتوريد الفصائل العربية النادرة للصين وكانوا يجلبوها كهدايا ثمينة بعد موسم الحج كل عام وهي تقدم كهدايا ثمينة جداً لكبار الشخصيات ببلاط الامبراطور وظل المسلمون محتفظون بمناصب مهمة في الدولة، وكان

للإسلام احترام عظيم، وظهرت الفنون الإسلامية في الفن المعماري الصيني.

كذلك يوجد نظرية ذكرها الباحث الصيني هوي تشانج ان مؤسس أسرة مينج الصينة الامبراطور هونج وو كان مسلماً لأنه لم يصرح بانه معتنق اي ديانة من الديانات المحلية، كذلك له 100 رسالة في مدح الإسلام، كذلك أمر ببناء المساجد في المدن الصينية مع أن الإسلام آنذاك لم يكن منتشراً، وشجع على إحضار أسر عربية وإيرانية إلى الصين، وأمر بنقش مدح وذكر فضائل النبي محمد(ص)، كذلك كان 10 من قادة جيوشة مسلمين ومنهم يوتشن تشانج يولان، ويقال أن إسلامه جاء بسبب أنه عندما انضم لاول فرقة متمردة كان أحد قادتها مسلم فأقنعه بالإسلام.

المسلمون في عهد المانشو (المنشوريون)

تغيرت أوضاع المسلمين في هذا العصر فكان عهد ظلم واستبداد وذلك لجهل الموظفين المنشوريين بعادات المسلمين، وظهرت عدة انتفاضات في شمال الصين، وشينجيانج، وفي ولاية يونان،راح ضحيتها الآلاف من المسلمين، وفي هذه الفترة، في سنة (1279 هـ -1862 م) ظهرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلي اللغة الصينية.

المسلمون في العهد الجمهوري (1329 هـ -1911 م)

أعلن الحكم الجمهوري أن الأمة الصينية تتكون من خمسة عناصر يشكل المسلمون إحداها، وكان علم الجمهورية يتكون من خمسة ألوان، للمسلمين اللون الأبيض، ونال المسلمين حقوقهم بعد أن عاني الظلم ثلاثة قرون، وأدخلت الشوائب على العقيدة الإسلامية ولقد ناصر عدد كبير من أبناء المسلمين بالصين فكرة تأسيس الجمهورية بقيادة الدكتور صن يان سن وانتموا للحزب الوطني الحاكم الكومين تان، ولقد حكم أبناء المسلمين أجزاء عدة من الصين ذات أغلبية مسلمة حكماً ذاتياً بعد سقوط الامبراطورية في بداية القرن العشرين ولكنهم كانوا يتبعون الحكم المركزي ببكين فيدرالياً.

وعندما تكالبت القوى الأجنبية مثل اليابان وانجلترا والولايات المتحدة على الصين ومن ثم دخول روسيا البلشفية على الخط تقطعت أوصال الجمهورية واصابها الضعف وتفشى الفقر بحكم الصرف على الحروب التي خاضوها ضد اليابان وإخراجها الأمر الذي جعل البسطاء يؤمنون بالفكر الشيوعي للتخلص من الفقر والقضاء على الطبقية بالمجتمع الرأسمالي، وبدأت الحرب الأهلية تطحن بين حلفاء الكفاح ضد اليابانيين وهم الجمهوريين والشيوعيين، وقد ابلى أبناء المسلمين بلاء حسنا وابدوا مقاومة عنيفة ضد الثورة الشيوعية وقيادتها بزعامة الشيوعي

ماو تسي تونج وبعد سقوط الجمهورية وتمكن الحزب الشيوعي من تملك مقاليد الامور بالصين وانسحاب القائد العسكري للحزب الوطني لخارج الأرض الصينية وبالتحديد لجزيرة تايوان، تم اعدام وسجن وتعذيب الغالبية العظمى من قيادات المسلمين وحكامهم وعلماؤهم وهدمت مساجدهم وأهينوا في دينهم كانتقام لعدم وقوفهم مع الحزب الشيوعي أثناء الحرب الأهلية الأمر الذي جعلهم مطاردين من قبل الجيش الشيوعي واجهزتها الأمنية مما استدعى هروب اعداد كبيرة منهم لخارج الصين كمناطق ودول أخرى كتايوان وهونج كونج وسنغافورة والولايات المتحدة وتركيا وكذلك بعض من الدول العربية كمصر والسعودية وقد لجأ للدول العربية معظم المسلمين من أصول عربية.

تركستان والحضارة الإسلامية

صارت تركستان الشرقية بعد إسلامها فى القرن الرابع الهجرى، أحد مراكز الحضارة والثقافة الإسلامية الهامة بمؤسساتها العلمية ومكتباتها الغنية، ودعم العلماء المتفرغين للدعوة ، فكان بحق عصر الذهبى للدعوة الاسلامية بين الأتراك الشرقيين وصار مسلمو تركستان يتصدرون مجالس الافتاء والدرس والقضاء فظهر منهم مشاهير العلم النبوي الشريف وعلوم الحضارة الاسلامية المختلفة وكان تيار العلم

يجرى متدفقاً من بلدانها ، حتى القرى المجهولة فى تركستان ، نبهت أسماؤها حين نبغ علماؤها أمثال البخاري والترمذي والبيهقي والفارابي والخوارزمي والبيروني والزمخشري والسمرقندي والماتريدي والكاشغرى والسكاكى، وآخرين لاحصر لهم خدموا الحضارة الاسلامية وأصبحوا من أعلامها الكبار.

وكما نشطت مدارس وجامعات بخارى وسمرقند وفرغانة فى خدمة الإسلام وعلومه، اشتهرت كاشغر باسم بخارى الثانية لكونها مركزاً للعلوم الإسلامية ،وقبلة طلاب العلم فقد ضمت مدينة كاشغر وحدها سبعة عشر معهداً علمياً لمختلف فروع العلوم الإسلامية، كذلك مكتبة المسعودى التى بنيت فى القرن الخامس عشر، وتحتوى على قرابة 200 ألف كتاب، وتبوأت كاشغر مكانة علمية لا تقل عن غيرها من الحواضر الإسلامية فى القاهرة والقيروان وبغداد وبخارى وسمرقند.

واتجة المسلمون فى تركستان الشرقية لدراسة علوم الإسلام وخدمتها، واحتذوا بنظام المدرسة والمؤسسات التعليمية الإسلامية، وعادة ما تكون هذه المدارس ملحقة بالمساجد الكبرى ، وأوقفوا لهذه المدارس أوقاف كثيرة تفى باحتياجات طلبة العلم فيها والإنفاق عليهم فكانت تدفع مرتبات شهرية منتظمة للمدرسين والطلاب فى هذه المدارس ، وتتكفل بإقامتهم وإعاشتهم داخل المدرسة، وشاركت النساء

فى مثل هذه الأعمال الخيرية وأوقفن الأموال على المساجد والمدارس قربة إلى الله، فقد أوقفت إحداهن وتدعى السيدة زلفيار ستمائة فدان من أخصب الأراضى الزراعية على جامع عيدكاه وجامعته وهذا الجامع الجامعة هو أكبر مساجد الشرق وتبلغ مساحة الجامع والجامعة حوالى ثمانية عشر ألف متر مربع ومعنى اسمه ساحة العيد ويعتبر أحد أبرز معالم الحضارة الإسلامية فى مدينة كاشغر من تركستان الشرقية .

ويرجع تاريخ بناء جامع عيد كاه إلى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى وسمى بهذا الاسم لأن أهل كاشغر كانوا يمضون أيام وليالى عيد الفطر وعيد الأضحى بجواره وقد تحول هذا المسجد الجامع إلى جامعة فى القرن التاسع عشر فأضيف إلى بنائه مدرسة تحتوى على قاعات للدرس ومساكن للطلبة وبنى عليه بوابة ضخمة على جانبيها منارتان كبيرتان.

وقد شاع فى تركستان حب اللغة العربية بوصفها لغة القرآن ولسان أهل الجنة وأصبحت بمثابة الإطار الثقافى للتركستانيين، كما صارت اللغة العربية هى اللغة الرسمية الوحيدة فى تركستان فى زمن قوة الخلافة العباسية، وكانت العرائض وحجج الأملاك تكتب بها، والنقود أيضاً كتب عليها باللغة العربية ضرب فى سمرقند أو بخارى أو كاشغر كما كانت اللغة العربية هى لغة العلماء والفقها وبها يدونون تراثهم

الفقهى والدينى وأصبحت اللغة تركستانية عامرة بالألفاظ العربية ذات المدلول الحضارى مثل؛ كلمة مدرس، ومؤذن، وقاضى، ومفتى، وخطيب، وإمام ، وحافظ وغيرها من الكلمات التى دخلت فى النسيج اللغوى لتركستان الشرقية وبنفس معانيها العربية كما أصبحت الأسماء العربية هى المفضلة لديهم شأنهم شأن مسلمو تركستان كلهم، فنجد من أسماء النساء فاطمة وعائشة ، ومن أسماء الرجال عبد الله وعبد الرحمن وعبد القيوم، وبرهان الدين وحسام الدين ونور الدين.

والإسلام فى تركستان الشرقية هوية تمتزج بتكوين وثقافة وسلوك تركستانيين فيحرص المسلمون فى تركستان الشرقية على صلواتهم ، وتلاوة قدر ما يستطيعون من القرآن ، ومن عاداتهم ملازمة الدعاء أعقاب الصلوات؛ حيث يدعو الإمام أو أحد تلاميذه ويؤمن على دعائه بقية المصلين ويحرص المصلون على لبس العمامة المسنونة أثناء الصلاة وأوقات الدراسة ويعتبرون عدم تغطية الرأس أثناء الصلاة ، أمر مغاير لما ينبغى أن يكون عليه المسلمون بل ويصل إلى درجة الاستنكار.

كان لتركستان الشرقية إسهاماتها فى الحضارة الإسلامية ، فقد كتب محمود الكاشغرى كتابه المشهور ديوان لغات الترك الذى ألفه فى كاشغر باللغة العربية بهدف تقديم كتاب يساعد العرب على تعلم لغة الترك ،ونسخه فى بغداد فى القرن الخامس الهجرى وقدمه هدية إلى

الخليفة المقتدر بالله العباسى. ويضم هذا الكتاب أكثر من سبعة آلآف وخمسمائة كلمة ويوضح فيه اللهجات المختلفة للشعوب التركية التى استوطنت تركستان الشرقية آنذاك، والفروق اللغوية والاجتماعية ، وهو أقرب إلى وصف الموسوعة لأحوال الشعوب المسلمة فى تركستان.

كذلك كتب الشيخ الفيلسوف يوسف خاص كتابه المشهور قوتادجو بيليك ومعناه علم السعادة وهو مصنف فلسفى اجتماعى يتناول أفكار حول الإدارة والسياسة والقضاء والأدب والعلوم وعلاقة الراعى بالرعية ، وبهذا يكون قد سبق بكتابه هذا ابن خلدون (ت 1406م) بثلاثة قرون ، واستحق أن يطلق عليه لقب ابن خلدون الترك.

ومنهم أيضا المحدث الأديب أبو المعالى طغرل شاه بن محمد بن الحسن الكاشغرى، وقد فسر القرآن الكريم لأول مرة بلغة قومه الأويجورية ومنهم أبو عبد الله حسين بن على الألمعى، وله تصانيف فى الحديث بلغت مائة وعشرين مصنفاً.

كما برع تركستانيون الشرقيون فى الطب وصناعة الدواء، وصناعة الورق، والعمارة ، والموسيقى، ولهم آدابهم الإنسانية ، ولا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا أن تركستان فى القرن الخامس عشر والسادس عشر شهدت نهضة أدبية وحضارية حمل لواءها الأتراك تركستانيون وكان

غالبية سلاطينهم وخاقاناتهم بصفة عامة يتميزون برعاية العلماء وحب العلم ويتذوقون الأدب والشعر والموسيقى، ومنهم الشعراء أصحاب الدواوين ، ونذكر من أعلامهم السلطان حسين بايقرا سلطان هراة وكان سلطاناً قديراً وعالماً وأديباً، بل إنه يعتبر من أقدر شعراء الأتراك الشرقيين فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر وجعل من مقر سلطنته فى هراة مركزاً ثقافياً كبيراً على مستوى العالم الإسلامى كله وظهير الدين بابر شاه سلطان فرغانة والهند، وكان شاعراً مجيداً، وصاحب أرفع نموذج فى النثر الأدبى فى اللهجة التركية الشرقية فى القرن السادس عشر وبه استقر الإسلام فى الهند .

هذه بعض الملامح الحضارية لتركستان الشرقية ، وهى حضارة نشأت بالإسلام ، فكانت فى خدمته والتساؤل الآن، لماذا تتمسك الصين بتركستان الشرقية رغم الاختلاف الحضارى والعرقى واللغوى بينهما؟ ولماذا تحرص على دمجها بالقوة فى دولة الصين؟ ولماذا يعيش المسلمون فى تركستان الشرقية فى أوضاع اجتماعية واقتصادية وثقافية صعبة ؟.

والإجابة تكون أسهل بعد التعرف على الأهمية الاقتصادية لتركستان الشرقية.

تبلغ مساحة تركستان الشرقية حوالى 2 مليون كيلو متر مربع ، وبذلك تكون مساحتها ضعف مساحة مصر تقريبا ،وأكبر من مساحة ألمانيا بأربع مرات ، ومن باكستان بثلاث مرات ، ومن تركيا مرتين ونصف ، ومن الكونغو بخمس مرات ، ومن الأردن بخمس وعشرين مرة ، وهى تشكل خمس مساحة الصين كلها بما فيها من مستعمرات مثل التبت ومنغوليا ومنشوريا.

وتتمتع تركستان الشرقية بخصوبة أراضيها وبثرواتها المعدنية التى لا حد لها، والتى لم يستغل منها إلا النذر اليسير.وتتوفر فيها مصادر المياه التى تكفل لها حوالى خمسين و سبعة أعشار مليون هكتار من الأراضى العشبية تكفى لرعى 60 مليون رأس من الماشية، وزراعة محاصيل هامة مثل الأرز والذرة والقمح والقطن والنخيل والتفاح والموز وجميع أنواع الخضر.

كما أن تركستان الشرقية غنية بمعادن الرصاص والفحم والحديد والنحاس وغيرها من الخامات الاستراتيجية ، حيث تؤكد الأبحاث الصينية أن سهول جونغار وتاريم وتورفان، فى تركستان الشرقية تختزن ما يوازى ثلث إجمالى احتياطى الصين من البترول، وفى عام 1988 تم اكتشاف 11 حقلاً للبترول وأكثر من 700 كيلو متر مربعاً من المناطق التى يحتمل وجود البترول فيها، حيث تحتوى على ما يقارب

800 مليون طن من الزيت الخفيف والثقيل ، و30 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعى ويبلغ احتياطى البترول فى تركستان الشرقية حوالى ستة ونصف مليار طن أى أضعاف احتياطى البترول فى إيران والعراق.

كما أنها غنية بمعدن اليورانيوم ، وقد أوضح الفرنسيون أنه يزيد على 12 تريليون كذلك يبلغ احتياطى الذهب حوالى تسعة عشر مليون طن وتمتلك مخزوناً من الفحم يقدر بـ 1600 مليار طن لهذا فإن الخبراء الدوليون يعتبرون تركستان الشرقية هى عصب اقتصاد الصين ، وعصب صناعتها الثقيلة، وقبل هذا عصب الإنتاج الذرى الصينى الذى يعتمد بصفة أساس على ما تنتجه تركستان الشرقية من اليورانيوم.

حال مسلمى تركستان اليوم:

وحال مسلمى تركستان اليوم يشبه حال إخوانهم الفلسطينيين وتتهم الصين المسلمين هناك بتهمة محددة هى إنهم يسعون إلى وطن قومي يطلقون عليه تركستان الشرقية، كما استغلت حكومة الصين أحداث الحادى عشر من سبتمبر ، لتتهم تركستانيين بالإرهاب، والوقوف وراء سلسلة من أعمال العنف، مستغلة الاتجاه السائد دوليا ضد المسلمين، لإعدام تركستانيين الذين يتوقون ويعملون من إجل الحفاظ على هويتهم الثقافية والحضارية ، واستقلال تركستان الشرقية عن الصين .

ويلخص تقرير منظمة العفو الدولية حال مسلمى تركستان الشرقية فى هذه السطور:يوثق هذا التقرير نمطاً من انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان جرت في إقليم سينك يانج الأويجورى المتمتع بالحكم الذاتي (يقصد تركستان الشرقية)،ومن ضمنها الاحتجاز والسجن التعسفي، والتعذيب، والإعدام التعسفي والإعدام بدون محاكمة وتحدث كل تلك الانتهاكات في إطار تزايد حوادث العنف مع تصاعد إجراءات القمع والقيود المفروضة على الحريات وإنكار الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الخاصة بسكان الإقليم الأصليين وتعتقد منظمة العفو الدولية، أن على الحكومة تشكيل لجنة محايدة للتحقيق فيما ورد بشأن انتهاكات حقوق الإنسان في الإقليم، واقتراح تدابير التصحيح، وتوفير منبر يتيح للأفراد والجماعات فرصة التعبير عن مظالمهم وينبغي أن يصحب ذلك كله تقييم شامل للاحتياجات الثقافية والصحية ولعدم التكافؤ الاقتصادي الموجود في الإقليم، ولا سيما بالنظر إلى توقيع الصين على العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

obeikandl.com